الإنساني بين الوحدة والكثرة

شرح تربوي معمّق ومراجعة عملية لتلاميذ الباكالوريا في تونس

الفلسفة | الشعب العلمية

تمهيد وأهداف التعلم

هذا الدرس متوافق مع المنهج الدراسي التونسي، وقد أُعيد ترتيبه تربويًا ليساعد على الفهم والمراجعة. لا تُنسب الأمثلة التوضيحية الإضافية إلى مؤلف أو كتاب ما لم ترد إحالة واضحة إليها.

- فهم المفاهيم والأفكار المركزية في الدرس.
- التمييز بين الشرح والتحليل والتقويم بحسب طبيعة المادة.
- تحويل الفهم إلى إجابة منظمة قابلة للتطبيق في الاختبار.

شرح مادة الدرس

مدخل إلى الإشكال

حين نسأل: ما الإنسان؟ قد نبحث عن صفة مشتركة تميّزه، فنفترض أن وراء اختلاف الأفراد حقيقة إنسانية واحدة وثابتة. لكن الإنسان لا يوجد خارج العالم أو بمعزل عن الآخرين؛ فهو يعيش في جسد، وينشأ داخل مجتمع، ويتأثر بزمانه وثقافته، ويبني علاقاته عبر التواصل والعمل والصراع. لذلك يتخذ السؤال عن الإنساني شكلًا مزدوجًا: هل تقوم إنسانية الإنسان على وحدة تجمع البشر، أم

على كثرة الأوضاع والتجارب التي تجعل كل فرد مختلفًا؟ وهل تتحدد الذات من داخلها وحده، أم تتكون أيضًا من خلال صلتها بالغير؟

في درس الفلسفة، لا يكفي أن نختار جوابًا سريعًا من قبيل أن الإنسان واحد أو أن البشر مختلفون. المطلوب هو فهم التوتر بين الطرفين، وتحديد ما يبرره كل تصور وما يغفله. فالوحدة لا تعني بالضرورة التطابق التام، والكثرة لا تعني انعدام كل مشترك. ومن هنا يتصل موضوع الإنساني بين الوحدة والكثرة بمسألة الإنية والغيرية: أي بعلاقة الأنا بذاتها وبالآخر الذي يشاركها الإنسانية ويختلف عنها في الوقت نفسه.

الإنية بوصفها وعيًا بالذات

تدل الإنية على كون الإنسان ذاتًا تستطيع أن تقول «أنا»، وأن تلتفت إلى أفكارها وأحاسيسها وأفعالها. وقد يُنظر إلى هذه الذات على أنها نفس أو وعي يدرك نفسه مباشرة، في حين يكون الجسد شيئًا مغايرًا لها. وفق هذا التصور، لا تحتاج الأنا إلى الآخرين كي تثبت وجودها أو تعرف حقيقتها؛ إذ يبدو وعيها بنفسها كافيًا لتحديد ما تكونه، بينما يصبح العالم والغير موضوعين يقعان خارجها.

تتيح هذه النظرة إبراز أهمية الوعي في التمييز بين الإنسان والأشياء: فالإنسان لا يتحرك فحسب، بل يستطيع أن يفكر في حركته، وأن يراجع اختياراته، وأن يسأل عن معنى وجوده. غير أن جعل الذات مستقلة استقلالًا كاملًا يثير صعوبات. فالإنسان لا يعرف نفسه من دون خبرة جسدية، ولا يعيش خارج ظروف مادية وتاريخية، كما أن لغته ومعارفه تتكونان في محيط يضم الآخرين. لذلك ينبغي اختبار فكرة الذات المنغلقة على ضوء التجربة الفعلية، لا الاكتفاء بتصورها مجردة.

الجسد والرغبة: انفتاح الذات

الجسد ليس غلافًا خارجيًا يمكن الاستغناء عنه لفهم الإنسان؛ فمن خلاله يحضر الفرد في العالم، ويتحرك، ويحس، ويتواصل، ويعبّر عن حاجاته. كما أن الرغبة تدفعه إلى تجاوز حالته الراهنة والاتصال بما يحيط به. فقد يرغب في

التعاون مع شخص آخر، أو في نيل تقديره، وقد ينافسه على مورد أو مكانة. وهكذا تكشف الرغبة أن علاقة الذات بالغير قد تتخذ صورًا مختلفة، من التوافق والتقارب إلى التوتر والصراع.

ولا يلزم من ذلك اختزال الإنسان في جسده أو رغباته، بل المقصود أن فهم الذات يقتضي الانتباه إلى مكوناتها المتداخلة. فالإنسان يفكر ويحس ويتأثر، وتتشكل أفعاله عبر تفاعل هذه الجوانب. وفي مثال بسيط، لا يمكن فهم قرار تلميذ باختيار اختصاصه بالنظر إلى تفكيره وحده؛ فقد تسهم ميوله وقدراته وظروف أسرته وتوقعات محيطه في توجيه قراره. تكشف هذه العناصر أن الإنية ليست جوهرًا منعزلًا عن العالم، بل ذاتًا تعيش ضمن علاقات تؤثر فيها وتستجيب لها.

الذات داخل المجتمع والتاريخ

لا تنشأ أفكار الإنسان في فراغ؛ إذ ترتبط بما يعيشه من نشاط مادي وبما يسود مجتمعه من علاقات وشروط. فالعمل، وتقاسم الموارد، وأنماط العيش، كلها عناصر تدخل في تشكيل نظرة الأفراد إلى أنفسهم وإلى غيرهم. لذلك لا يمكن تفسير وعي شخص أو خياراته بإرجاعها إلى باطنه وحده، كما لا يصح تجاهل مسؤوليته وقدرته على التفكير. المطلوب هو ملاحظة الصلة بين التجربة الفردية والظروف الاجتماعية والتاريخية التي تحتضنها.

ويعني هذا أن الإنسان يتحدد، جزئيًا، بما يفعله وبالعلاقات التي يشارك فيها، لا بما يملكه من صفات ثابتة فقط. فتغير الأدوار والظروف قد يغير طريقة فهم الفرد لذاته ومكانته. ومن جهة أخرى، لا يحول تأثير المجتمع الإنسان إلى نسخة مطابقة للآخرين؛ إذ يمكن للأفراد أن يفسروا الظروف نفسها بطرق مختلفة، وأن يختاروا مواقف متباينة. بهذا المعنى، تجمع الإنية بين جانب مشترك هو العيش داخل عالم اجتماعي، وجانب متكثر يتمثل في اختلاف المسارات والاستجابات.

الغير: مماثلة واختلاف

الغير ليس مجرد شيء يقابل الأنا من الخارج؛ إنه ذات أخرى تشاركني القدرة على الإحساس والتفكير والفعل، لكنها لا تطابقني في تجربتها وخصوصيتها. ومن ثم يكون مماثلًا ومباينًا في آن واحد. إن الاعتراف بالمماثلة يفتح إمكان التعاطف والتواصل، بينما يفرض الاختلاف ألا أختزل الآخر في صورة مطابقة لما أريده أو أفكر فيه.

تتعدد العلاقات بين الأنا والغير. فقد أرى الآخر نظيرًا لي، فأفهم نفسي عبر ما يجمعنا وما يميز كلًا منا. وقد تنشأ بيننا مشاركة تجعل التواصل تبادلًا بين ذاتين، لا تعاملًا مع شخص كأنه أداة أو موضوع. لكن العلاقة قد تتحول أيضًا إلى صراع عندما يسعى كل طرف إلى فرض إرادته أو يشعر بأن حريته مهددة. وفي هذه الحالة يحاول كل منهما حماية مكانته وإثبات ذاته، وقد يعامل الآخر بوصفه خصمًا بدل الاعتراف به شريكًا إنسانيًا.

لا يعني حضور الصراع أن العداوة هي الصيغة الوحيدة للعلاقة، كما لا يعني إمكان التعاطف أن الاختلاف يزول. فالآخر قد يخالفني من دون أن يصبح عدوًا، وقد يتطلب العيش المشترك قبول ما لا يشبهني. لذلك تتطلب العلاقة المتوازنة اعترافًا متبادلًا: أقر بأن للغير حقًا في الاختلاف، وأطلب في المقابل ألا تُلغى خصوصيتي أو حريتي. وبهذا يصبح اللقاء الإنساني ممكنًا من غير أن يتحول إلى ذوبان أحد الطرفين في الآخر.

تركيب: وحدة إنسانية وتعدد فعلي

يتيح الإشكال التمييز بين وحدة لا تمحو الفروق وكثرة لا تقطع كل صلة بين البشر. فالناس يشتركون في كونهم ذواتًا جسدية واجتماعية، قادرين على إقامة علاقات والتأثر بالعالم، لكنهم يختلفون في تجاربهم ورغباتهم وظروفهم وطرائق فهمهم لذواتهم. لذلك لا تُفهم الإنية بوصفها استقلالًا مطلقًا عن الغير، ولا تُختزل في كونها مجرد نتيجة سلبية لما يحيط بها؛ إنها تتشكل عبر تفاعل الذات مع جسدها والعالم والآخرين.

بالنسبة إلى تلميذ الشعب العلمية، يفيد هذا التحليل في تنظيم الإجابة الفلسفية: نبدأ بتحديد المفاهيم، ثم نصوغ التعارض بين الذات المستقلة والذات العلائقية، ونشرح حجج كل اتجاه بأمثلة واضحة، قبل بيان حدود

الفصل بينهما. والخلاصة أن الإنساني يجمع بين المشترك والمتنوع: لا تتحقق إنسانية الفرد بإلغاء الغير، ولا بإلغاء خصوصيته، بل ضمن علاقة تسمح بالتواصل والاختلاف والاعتراف المتبادل.

المفردات والمصطلحات

المصطلح	دلالته في سياق الدرس
الإنية	حضور الذات لذاتها وتعيّنها، مع التنبيه إلى أن معناها يتغير بحسب التصور الفلسفي.
الغيرية	علاقة الاختلاف والانفتاح على الآخر، وليست مجرد نقيض سطحي للذات.
العلاقة البينذاتية	تفاعل الذوات داخل العالم والتاريخ واللغة والجسد.

منهجية الإجابة في الاختبار

1. اقرأ الموضوع مرتين وحدّد مفاهيمه وألفاظه الموجّهة مثل: هل، كيف، إلى أي مدى.
2. صغ الإشكال في صورة توتر أو علاقة بين المفاهيم، ثم ميّز الأطروحة التي يثبتها السؤال من الأطروحة المستبعدة.
3. اعرض الموقف الأول بحججه، ثم ناقشه بحدوده واعتراضاته، وانتقل إلى موقف أو إمكان آخر يثري الإشكال.
4. اختم بتركيب معلّل لا بتكرار المقدمة، وبيّن شروط إمكان الجمع أو حدود التعارض.

نموذج تطبيقي قصير

ابدأ من لفظ السؤال أو الفكرة المركزية، ثم اربطها بمحورين من مادة الدرس. أدرج شاهدًا من المصدر، واشرحه، وبعد ذلك قيّم النتيجة في ضوء حدودها وشروطها. هذا النموذج إجرائي، أما مضمون الإجابة فيتغير بحسب السؤال.

خلاصة المراجعة

قبل الاختبار، راجع عنوان الدرس وإشكاله أو موضوعه، ثم احفظ شبكة المفاهيم والعلاقات والشواهد. لا تكرر عبارات المصدر دون تفسير، ولا تضف قولًا إلى صاحبه من غير إحالة ظاهرة.

المصدر المعتمد: باك5.txt. الملفات المتاحة في المشروع نصوص مستخرجة وليست ملفات PDF مرقّمة؛ لذلك لم تُخترع أرقام صفحات. أي إحالة غير مقروعة في المصدر بقيت على حالها أو نُبّه إليها.